الأسلوبية العربية والأسلوبية الغربية: التقاطعات المرجعية والرؤى البينية.

Arab stylistics and Western stylistics: reference intersections and intersecting visions

بوضروة زهرة[1]*

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف-(الجزائر)**boudherouazahra22@gmail.com**

تاريخ الاستلام: 2021/09/15 تاريخ القبول: 2021/12/29 تاريخ النشر: 2022/03/30

ملخص:

تنطلق هذه الدراسة من اتجاهين رئيسيين أولاهما تقوم على فهم العرب للأسلوب والأسلوبية التي تقتضي دراسة مسحية لمفهوم الأسلوب في التراث العربي وأخرى ثانية موازية تقوم على فهم الغرب لهما من خلال مفهوم الأصالة والمعاصرة الذي يرفض الإنحياز لطرف على حساب طرف آخر بحيث لا يكون ثمة تعصب لقديم ولا انغلاق على جديد من خلال تبيان ما أضافه اللاحق للسابق والعكس، في حركة فكرية وأدبية ومراوحة تجديدية حداثية تؤكد حلقة التواصل بين القديم والجديد من خلال ما أصّله القدماء في دراساتهم البلاغية وما استحدثه الغرب من علوم لغوية واتجاهات فكرية ونقدية يمكن أن تُطعّم الدرس الأسلوبي العربي بحيث نقف فيها على دراسة مكتملة وشاملة لحدود النظرية الأسلوبية التّي قدّمها العرب واسترسل فيها الغرب، **ويهدف بحثنا هذا** إلى إجراء مسحة استطلاعية على أسلوبية القدماء والمحدثين وتبيان أوجه الإختلاف والإئتلاف بين ما كان وما هو كائن وما يمكن أن يكون مستقبلاً، **منتخبين في ذلك منهجا** استقرائيا تعاقبيا لمختلف أطوار هذه الدراسة العصيّة والغنية بروافدها الفكرية والمنهجية.

الكلمات مفتاحية: الأسلوبية العربية، الأسلوبية الغربية، النص، المرجع، الحدود، الآليات، الأساليب، الخصائص، الواقع والمأمول.

Summary:

This study starts from two main directions, the first of which is based on the Arabs 'understanding of style and stylistics, which requires a survey study of the concept of style in the Arab heritage, and another parallel study that is based on the West's understanding of them through the concept of originality and modernity, which refuses to be biased to one side at the expense of another, so that there is no Intolerance to an old and not closed in to the new by showing what the later added to the previous and vice versa,In an intellectual and literary movement and a modernist renewal movement that confirms the link between the old and the new through what

*المؤلف المرسل

the ancients had in their rhetorical studies and what the West developed in terms of linguistic sciences and intellectual and critical trends that can feed the Arab stylistic lesson so that we stand in it on a complete study and It includes the limits of the stylistic theory presented by the Arabs and in which the West extended.Our research aims to conduct an exploratory survey on the stylistics of the ancients and modernists and to show the differences and alignments between what was and what is and what might be in the future, choosing in that a sequential approach to the various stages of this study is difficult and rich in its intellectual and methodological tributaries.

Key words: Arabic stylistics, Western stylistics, text, reference, limits, mechanisms, styles, characteristics, reality and hopes.

مقدمة:

تطرح هذه الورقة البحثية **إشكالية** الوضع والمنهج ومختلف تقاطعاته المنهجية والشكلية والمعرفية التي تشكل أسس الدراسة الأسلوبية ضمن الأطر التّي أُنتجت فيها والتي يُرجح أصولهامعظم الباحثين العرب إلى البلاغة العربية القديمة، دون أن نغفل بعض الإشارات التي وردت في كتب القدامى كالهنودوالإغريق، وبحكم جوهر الموضوع الذي سوف نعالجه وإيمانا منّا بجودة الدراسات التي قُدمت في هذا المجال والتي استفاضت في الحديث عن الأصول المرجعية لهذا النوع من الدراسة وأسسها ومبادئها وإجراءاتها وأنماطها، ككتاب الأسلوب والأسلوبية لعبد السلام المسدي، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية لسعد مصلوح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته لصلاح فضل، الأسلوبية والبيان العربي محمد عبد المنعم الخفاجي ومحمود فرهود وعبد العزيز شرف، مدخل إلى علم الأسلوب لشكري عياد، الأسلوبية وتحليل الخطاب لعبد السلام المسدي، فإن مايُلاحظ من خلال مراجعة مختلف مواضيع وقضايا البحث الأسلوبي هو إغفال جانب معين منها والتي لم يُؤخذ بها بالرغم من أنها تشكل حجر الزاوية في التقعيد لمثل هذه المواضيع والتي تتطلب معالجتها نظرة ازدواجية مُقارنة من أجل الربط بين مختلف تشعباتها وتطوراتها وفق منظور تعاقبي استشرافي، سنعمل على هذا الموضوع ضمن الإطار المحدد له سلفًا دون اللجوء إلى سرد تفاصيله المرجعية باعتبارها خلفية معرفية ينبغي أن تتوفر لدى كل باحث مهتم، وسنعمل على الإجابة على الأسئلة التالية: ماهي حدود الدرس

الأسلوبي الغربي والعربي، وكيف يمكن قولبتها بحيث تتناسب مع طبيعة ومرجعية النصوص التي تختلف اختلافا بينيّا من حيث الأنساق والخصائص والسياقات والبيئات التي أنتجتها؟، واضعين نصب أعيننا **الفرضيات الآتية:**

- أسبقية وجود الأسلوبية في الفكر النقدي العربي القديم وتجذرها فيه في مقابل ذلك

ينفرد النقد الغربي بالتأسيس.

- خصوصية كل من الدرس الأسلوبي العربي والغربي، مع إمكانية الإلتقاء والإرتقاء

باعتماد كل منهما على الآخر مع إمكانية التزاوج و التجاوز.

أما عن أهداف البحث ومنهجيته فقد سبق الإشارة إليها في ملخص البحث.

قضايا الأسلوبية: تتعدد قضايا الأسلوبية، من بينها هذه القضية التي استثارت بعض الدارسين العرب أمثال الباحث محمد حسين عبد الله المهداوي في مقاله المنشور في شبكة الأنترنيت المعنون بنظرة في الأسلوب والأسلوبية (محاولة في التنظير لمنهج أسلوبي عربي)، وكذا مقال أ.د.حسن منديل حسن العكيلي الذي عنّونه بقضايا أسلوبية بين الموروث العربي و المناهج الغربية الحديثة وغيرهم، فاستأنست بمثل هذه الجهود التي تُطفيء بعضا ممّا يشعل غيضي أو يقض مضجعي من لهفة البحث وغياب الدافع أو المحرك أو انعدام الحيلة والوسيلة أوالعراقيل التي تعيق رغبة الباحث في الإفادة و الإستزادة.

كما سبق الذكر لن أخوض في الموضوعات الجانبية للموضوع و سأكتفي باقتحامه من بابه الواسع وإن لم تُعنِ المراجع عليه، وبعيدا عمّا قيل أو سيقال من تقعيدات وتعقيدات الدرس النقدي الأسلوبي، وجدت أنه من الواجب علينا كباحثين وضع الأمور في نصابها و كمسلمة أدبية وممّا هو متعارف عليه أن النص أو الناص ابن بيئته بكل ما تحمله هذه البيئة من مكونات (نفسية، دينية، ثقافية،اجتماعية، تاريخية، سياسية،...الخ)، وعليه وجب علينا وضعه في الإطار الذي أُنتج فيه، هذه نظرة سياقية تقليدية إلا أن النظرة الأكثر تقدما هي عزل النص عن جميع الأطر التي تتحكم وتساهم في إنتاجه أو إعادة إنتاجه، لا غرو من أن تكتسب الدراسات الأدبية طابع الدراسات النقدية فهي قد تسير معها في خط واحد أو قدتخالفها أو قد تتأخر عنها أو تتقدم عليها، لكن تطبيق المناهج السياقية أوالنسقية على النصوص الأدبية قد أوقعها في مزالق خطيرة أدت إلى

تضييق الخناق عليها وفي بعض الحالات أدت إلى الحيلولة دون حيويتها وانغلاقها على ذاتها أو على الذات المنتجة لها، وأدى هذا في الأخير إلى الإنتقال بالدراسات النقدية إلى ماهو أوسع من ذلك بانفتاح النص الأدبي على التأويل والتلقي ليضفي على النصوص بعدا آخر في القراءة و الفهم، إن هذا الانتقال على المستوى الأدبي والنقدي بشّر بميلاد نقد من نوع آخر اصطلح على تسميته بالنقد الجديد، وحتى لا نتوه في دهاليزه سنقف عند حدود ما يهمنا، وبإسقاط هذه المراحل(مراحل الدّرس النّقدي) على دراستنا هذه نجد الدّرس الأسلوبي كمنهج - ومن خلال تتبع مراحل نشأته وتطوره و بإسناده على مرجعياته التاريخية وجذوره التي تمتد نظريا إلى البلاغة العربية القديمة- فإنه قد أصبح من الثابت القول أنه لم يكن له وجود مستقل كعلم قائم بذاته إلا في المباحث الغربية الحديثة وهذا بناءا على ماجادت به مختلف الدراسات في هذا الحقل الأدبي والنقدي، وماذكرته المراجع العربية الحديثة و المعاصرة عن أسبقية وجوده كعلم في الفكر النقدي العربي الذي لم يتعد أن يكون مجرد إشارات حملتها بطون الكتب والمجلدات وتجدرالإشارة إلى أنَّ الرؤية المعاصرة ماهي إلا مسميّات حديثة لظواهرَ موجودة في التراث البلاغيّ القديم"ومع ظهور مبحث الأسلوبية على الساحة النقدية، لم تفتأ الدراسات العربية تبحث في الصلة بين هذا الوافد الإسميّ، الذي يحمل في ثناياه ملامح البلاغةالعربيةالممتدةالجذورفيأعماقالتاريخ،ويصحبهاذلك الوهج المشتعل من كبار النقاد والأدباء العرب، الذي زخرت المكتبة العربية بكتبهم المصدرية والمرجعية في فنون البلاغة وأفنانها، ولازالت مناراً للبحث البلاغي الأسلوبي"[2].

هذه الرؤية يؤيدها العديد من الدارسين و الباحثين العرب أمثال:

1- **البروفسور عمر عتيق في كتابه علم البلاغة بين الأصالة والمعاصَرة:** الذي يستعرض فيه أوجه البلاغة في التراث العربي،كما التفَتَ فيه إلى بعض القضايا المعاصرة قدجاء الكتاب في خمسة فصولٍ، خصّص الفصل الأوّل منه للتراث البلاغيّ العربيّ،حيث وقف عند أبرز القضايا البلاغيّة وأهم المؤلَّفات البلاغيّة التي وردت فيها وفقَ الترتيب الزمنيّ للمؤلّفين، ابتداءً من أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى، الجاحظ، مرورًا بابن طَباطَبا، العسكري، عبدالقاهر الجرجاني حتى ابن الأثير، ثم خصص الفصول الثّلاثة اللاحقة لعلوم البلاغة: البيان،المعاني

والبديع، وخصَّ الفصل الخامس بالأسلوبيّة[3] متبعا في ذلك منهجا تاريخيا مقارنا، مطابقا فيه بين مختلف المقولات البلاغية وتلك التي أثارها الدرس البلاغي المعاصر تحت مسميات جديدة، وقد علل بعض الباحثين العرب لجوءهم إلى الأسلوبية بسبب قصور البلاغة العربية فعلى سبيل الإشارة لا الإحصاء:

1-يرى الناقد أن بعض"البلاغيين القدماء لم يربطوا بين القضايا البلاغيّة والسيّاق النفسي والاجتماعي للنّصّ الأدبي، وقد أتاح هذا القصور للأسلوبيّة الحديثة أن تكون وريثة شرعيّة للبلاغة القديمة"[4]. إلا أن هذا الإقرار لا يخلو من إجحاف،فالمؤلّفات البلاغيّة القديمة وغيرها من النصوص الأدبية لاتخلو من المحمولات النفسية والإجتماعية...الخ، والتي يعتبر الشعر الجاهلي من أوثق المصادر التي تؤكد هذا الزعم في مجال التأليف والنظم، وفي حقل الدراسات اللغوية والبلاغية يعد الجاحظ من أوائل النّقاد العرب الذين تنبَّهوا إلى صلة الشّعر بالنَّفس والمجتمع[5]ويقف صرحا شامخا في هذا الباب من خلال مؤلفاته العلمية القيّمة البيان والتبيين والحيوان ورسائله وهذا حسب دراسة إحصائية أجراها الباحث جاسم علي جاسم في مقال عنونه بـ: الجاحظ رائد علم اللغة التطبيقي في التراث العربي[6] والذي يشير فيه إلى قضايا لغوية شتّى بشكل مفصل ودقيق- منها علم اللغة النفسي، علم اللغة الاجتماعي، الترجمة، تعليم اللغات، علم اللغة التقابلي، تحليل الأخطاء، المفردات الشائعة،والنحو التعليمي...الخ-سبق إليها الجاحظ في علمه الغزير قبل ألف ومائتي عام وقد حذا العلماء اللغة الأوروبيون والأمريكان حذوه مؤكدين ما توصل إليه من ملاحظات و نتائج مقرًّا بأن الجاحظ يعد مؤسس هذا العلم (علم اللغة التطبيقي) بلا منازع.

2-ومن زاوية أخرى يرى البروفسور عمر عتيق بأنَّ التراث البلاغي لم يعدّ "قادرًا على الوفاء بما يقتضيه تحليل النّصّ الأدبيّ، إذ لم يعد قادرًا على الكشف عن البنية العميقة للنصّ، وربط النّصّ بالسّياق، وذلك أنَّ جلّ البلاغيين القدماء وقفوا على ظاهر النصّ ولم يسبروا غوره، واهتموا غالبًا باللّفظ المفرد، أوبالجملة الواحدة في مختلف القضايا البلاغيّة"[7]، وفي هذا تنبيه على إعتناء

الأسلوبية بالمعنى الكلي للنص من خلال دراسة الظواهر الأسلوبية، إلا أن تراثنا النقدي البلاغي غني بالإشارات الأسلوبية، فقد أشار الجرجاني في مؤلفه دلائل الإعجاز إلى لفظة أسلوب إضافة إلى ثنائية اللفظ و المعنى واشتغالها ضمن عملية النظم[8]، هذه الثنائية التي لم يخلو مؤلف نقدي من استعمالها، ولهذا يعتبر - الكثير من المهتمين بالدراسات القديمة- الجرجاني أبو الأسلوبية في البيان العربي، لذا وجب على الدراسين استنطاق النصوص القديمة -"وتأكيد أصالةالبحث الأسلوبي عندالعرب، والكشف عن صلة الرحم بين الأصالة والحداثة"[9]- من أجل الكشف عن خباياها ومقاصدها التي لا تبدو جليّة وواضحة إلا من خلال فحصها والتمعن فيها. وللكاتب مؤلف نقدي آخر هو معجم مصطلحات علم البلاغة الذي أحصى فيه مجموع المصطلحات البلاغية ورتبها ترتيبا ألفبائيا، وقدّم لها تعريفا كما جاء في المصادر القديمة ومثّل لها، وجعل له ثلاث ملاحق خصص الأول منه لذكر الفروق الدقيقة، وجعل الثاني لتعدد المصطلح في التراث البلاغي، أما الثالث فخصصه لتعدد مفهوم المصطلح الواحد. والكتاب عبارة عن دراسة قيّمة تكشف عن تاريخ المصطلح البلاغي ومختلف الإشكالات التي يطرحها[10].

2- اتجاهات الأسلوبية:

لم يستقر مفهوم الأسلوبية على النحو المتعارف عليه حاليا " إلافي بداية القرن العشرين،مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة،التي قررت أن تتخذ منا لأسلوب علماً يدرس لذاته، أويوظف في خدمة التحليل الأدبي، أوالتحليل النفسي،أوالاجتماعي، تبعاً لاتجاه هذه المدرسة أوتلك"[11]، عموما انقسم النقاد العرب حول هذا الموضوع إلى ثلاث اتجاهات يحصيها الباحث عبد الكريم عبد القادر عقيلان[12] كما يلي:

الإتّجاه الأوّل: يرى أن البلاغة وإن كانت جذرا للأسلوبية أو فرعا من فروعها وإن اتخذت عدّة مسميات فإن الموضوعية تقتضي أن نعترف أنها توقفت عند ذلك الحد متحجرة في قالب لم يعتمد دراسة العمل الأدبي في كليته وشموليته. وأبرز من اتخذ هذا الموقف[13] وقد عاب على البلاغة القديمة مايلي :

أوّلا: ارتكازها على الأحكام والتصنيفات المسبقة والجاهزة بينما تتقيد الأسلوبية بقيود المنهج العلمي الوصفي.

ثانيّا: تفرض البلاغة على المتكلم نمطا جاهزا من الوصايا التقييمية و التقويمية التي ينبغي أن يتقولب ضمنها بالرغم من كونها تتسم بصفة المعيارية في حين تسعى الأسلوبية إلى تحليل وتعليل الظاهرة الأدبية بعد أن يتقرر وجودها.

ثالثا: تفصل البلاغة بين الشكل والمضمون بخلاف الأسلوبية التي ترفض هذا الفصل، وقد فنّد هذا الموقف إبراهيم عبدالجواد في كتابه الإتجاهاتالأسلوبيةفيالنقدالعربيالحديث[14] حين قال:" بيد أنّ هذا التحليل لن يكون بديلاً عن السياق ووظيفته في النّص،إذ الكلمة في النّص إنّما تكتسب دلالتها الأسلوبية من تجاورها مع الكلمات الأخرى، ولهذا فإنّ رصد قوائم غير سياقية بالعناصر المفردة أو الإحتمالية من تجاورها مع الكلمات، ولهذا فإنّ رصد قوائم غير سياقية بالعناصر المفردة أو الإحتمالية ليست له أي قيمة أسلوبية، بل هو تحطيم حقيقي لوظيفة اللّفظة في النّص كلفظة وكحاملة لمدلول ما اكتسبته من خلال السياق"[15].

الإتجاه الثاني:ربط فيه شكري عياد[16] بين تصور ديسوسير للغة وتعريف الجرجاني للبلاغة[17]، وقد وجد الكثير من التطابقات المفهومية المشتركة بين العلمين منها العلاقات القائمة بين المحور الأفقي والعمودي على مستوى التركيب كما جاءت في تعريف السكاكي"علم المعاني : هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، ومايتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ماتقضي الحال ذكره "[18]، ويرتبط تتبع خواص تراكيب

الكلام بمعرفة تفاوت المقامات حتى لايقع المرء في الخطأ، ومدار ذلك على جودة السبك والنظم بما يتوافق مع الإستحسان العرفي وكيفية تطبيق هذه الخواص على المقامات يختص به علم المعاني، وقد وردت في تراثنا القديم صور لمثل هذا الاستعمال، منها ما روي أن أعرابيا سمع قارئا يتلو قوله تعالى:**{والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله غفور رحيم}**[19]فاستنكر ختام الآية بغفور رحيم حتى تنبه القاريء لخطئه فأعاد القراءة وختم بـ"و الله عزيز حكيم" كما وردت في القرآن الكريم، فقال الأعرابي الآن استقام المعنى، وفي هذا تأكيد لمناسبة المقال للمقام على ما جرت به عادة العرب في سنن القول واستحسان الكلام واستصاغته بالفطرة أو الذوق أو الممارسة أو ما تستلزمه المعاني الأصلية أو توابعها في عرف البلغاء[20].وقد عقد شكري عياد مقارنة بين أوجه التلاقي والإختلاف بين البلاغة العربية والأسلوبية[21].

وعليه ومن هذا المنطلق ومن البديهي أن نبحث عن خصوصية مثل هذه الدراسات الأدبية والنقدية ومدى جودتها وجدّيتها والتي ينبغي لها - وهي تعالج مثل هذه النصوص التي تختلف وتنفرد عن النصوص الموازية لها من حيث الرسالة (شكلا ومضمونا)، ومن حيث المرسل والمرسل إليه والقناة والشيفرة والمرجع،-أن تراعي جميع الشروط المنتجة لنص معين دون غيره وهو السبب الذي من أجله وعليه تقوم الدراسة وتُقام لأجله الحجج بحيث تنسجم معها نصا وتحليلا.

وتواطؤا مع الوجود العربي وحس الإنتماء يمكننا القول بأن الفكر الغربي اغترف الكثير من مناهل الفكر العربي باعتراف الكثير من الغربيين على غرار المستشرقة الألمانية سيغريدهونكه في كتابها شمس العرب تشرق على الغرب الذي يتناول تاريخ العرب وتأثيرحضاراتهم وعلمائهم واختراعاتهم على الحضارة الغربية ومانجده في عصرنا هذا مرتبط بالحضارة الإسلامية، وتأثر اللغات الأوروبية باللغةالعربية وحضارة الأندلس وقدقامت بتقديم مقدمة مؤثرة للنسخة العربية من الكتاب حيث قالت:" لم يكن، من قبيل المصادفة البتةُ أن أكتب

أن االسيدة الألمانية هذاالكتاب، فالعرب والألمان لاتربطهم فقط أيام دولتهم القوية،التي انقسمت الآن، والتي بدأت صعودها من جديد بقوة وحيوية وعزم، إنما هى رابطة قوية من الفكر والثقافة قد وثّقت العرى بينهما، امتدت جذورها في أعماق التاريخ، واستمرت على مرّ القرون ولازالت آثارها حتى اليوم...-وتقول في مقطع آخر عن مساهمات العرب-استيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قرونا ليصبح أكثر غنى وجمالا وأوفر صحةوسعادة"[22].

3- الأسلوبية في التراث العربي:

هذا بشكل عام أما على صعيد الدراسة فللعرب فيها إسهامات جليلة.وعطفا على ما سبق نقول إن الدراس المتصفح للدراسات البلاغية العربية القديمة والتي يمكن عدّها جذورا لمايعرف اليوم بعلم الأسلوبية لم تغفل شرط الموافقة والإنسجام مع خصوصية النص العربي الإسلامي آنذاك، والذي ينأى عن خصوصية النصوص الغربية وأنظمتها اللغوية، إذا وضعنا في الإعتبار أن الفترة التي سبقت هذا العصر لم تعرف نموذجا يرقى إلى مستوى النقدإ لاّبعض الإشارات الطريفة والطفيفة التي كان يتندر بها شعراء الجاهلية في الأسواق العامة والمجالس وهم يتبارون في فنون القول والشعر و"عند العودة إلى نشأة هذا العلم يجب التّركيز على أنّ علم البلاغة لم يملك وُجوداً واضحاً بين العلوم الأُخرى، إنّما كان على هيئة أفكار، ومُلاحظات ضمن المُؤلّفات التي وجدت حينها"[23] من خلال العديد من الأمثلة والنماذج التي ذكرت في كتب القدامى أمثال ابن سلاّم الجمحيّ(ت 233ه) صاحب كتاب: طبقات فحول الشّعراء،وابن قتيبة(276ه) صاحب كتاب " الشّعر والشّعراء"و"أدب الكاتب" والكامل للمبرد(286ه)، وطبقات الشّعراء للمعتز (400ه) ونقد الشّعر لقدامي بن جعفر (337ه) والعمدة لابن رشيق القيرواني(463ه)... الخ، والجاحظ الّذي ضمّن آراءه النّقدية في كتابيه "البيان والتّبيين" و"الحيوان" وغيرهم كثير. وقد اكتسب نقد هذه الفترة طابع العصر بما يمكن تسميته بالأسلوبية الإسلامية التي ترتكز على الشريعة الإسلامية فيتصورها للوجود[24].لا داعي للخوض في غمار

التعريفات اللغوية للأسلوب التي وردت في كتب اللغويين العرب القدامى، إلا أن الباحث عبد القادر زين يذكر في مقاله المعنون بـ: الأسلوبيين القدامى والمحدثين[25] أن أولم نورد لفظ أسلوب على لسانه هو الأعشى فيقوله:

أنو فهم من الفخر في أسلوب وشَعَرُ الأستاهِ بالجَبوبِ .يصف قوما بالكبر وهم أخساء.

وورد كذلك على لسان أبو نواس فيقوله:

جياشةً تذهب في أسلوبِ بصائكٍ من علقٍ صبيبِ . يصف طعنة نجلاء في طرديات

أما البحتري فيقول:

إذا بدأت لنا أسلوب شوقرأينا في التصابي ما ترينا.

وجميعها وردت بالمعنى المعجمي، هذا في العصر الجاهلي أما عن تراثنا اللغوي والنقدي والبلاغي فهو زاخر بأسماء لامعة قدمت مادة غنية شكّلت منطلقا للبحث الأسلوبي والتنظير له وما يثيره من مشكلات وقضايا، وعلى رأس هؤلاء سيبويه(ت 180ه) في "الكتاب" الذي لا يكاد يخلو من بعض الشذرات والظواهر الأسلوبية التي تعد من صميم الدرس الأسلوبي، ثم جاءت بعده جهود علماء القرن الثاني والثالث للهجرة التي انبرت تدافع عن لغة القرآن الكريم ضد الطاعنين والمشككين في عربيته { **إناأنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**}[26] وإعجازه وبيانه{ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِ هِوَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** }[27]أوتلك التي تساويه بلغة الشعر{ **إنه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون**}[28]. ويكن البحث الأسلوبي هدفهم في التأليف إنما جاء ذكرهم له بشكل عارض ومستطرد إلا أنها ساهمت في إثراه وجلاءه بشكل من الأشكال خاصة في ميدان الشعر، ثم توالت التآليف في هذا المجال وإن لم تتبلور معالمه وملامحه في تآليف الرماني (386هـ)،والخطابي (388هـ)، وعبدالقاهرالجرجاني (471هـ)، والباقلاني (ت403هـ) والواسطي(ت 306)، والرماني(384ه) والزمخشري(538ه)...الخ وكل من الفراء(207ه) ولأخفش(215ه) والجاحظ (215ه) في البيان والتبيين الذي أثار العديد من

القضايا والمسائل اللغوية والبلاغية منها فكرة تباين مستويات الكلام بتباين طبقات المتحدثين[29]، و كذا إدخاله لمصطلح النظم في الإعجاز القرآني[30]رفقة عبد القاهر الجرجاني واضع واضع نظرية النظم التي سبق بها علماء عصره والتي لا تزال لليوم تدهش الباحثين اللغويين وتقف موقفا قويّا أمام النظريات الغربية المعاصرة والتي تتألف من التقديم والتأخير والحذف والفروق والفصل والوصل [31]... و هكذا دواليك، جهود حثيثة لعلماء القرن الرابع والخامس الهجري "امتازت.....حتى القرن السّادس للهجرة الموافق للقرن الثّاني عشر ميلادي،باعتمادها على الذّوق والتّحليل الأدبيّ، ثمّ تحوّلت بعد ذلك إلى قواعدَ جافّةٍ،حيث طَغَتْ على تلك الفترة الشّروح والتّلخيصات، والتفكير المنطقي، وهكذا استقرّت حتى يومنا هذا، الأمر الذي دفع العديد من الدّارسين إلى تبنّي نظريّات حديثة، عُرفت لا حقا بالبلاغة المعاصرة[32].

ابتداءا فإن التعريف الشائع للبلاغة هو العلم الذي يعرف بهفصاحةالكلام مع مطابقته لمقتضى الحال أو "إصابة المعنى والقصدإلى الحجَّة مع الإيجاز"[33]، وتمتد جذورها إلى العصور الجاهلية، ثم امتدت ونمت عبر العصور المختلفة، وشاعت ظاهرة تنقيح الكلام في القصائد الحولية حتى يصل إلى أجود مراتبه في فترة ماقبل التدوين ،واستمر الحال كذلك إلى أن نزل القرآن الكريم الذي أذهل العرب بفصاحته وبلاغته وأعجزهم بقوّة بيانه وإقناعه، ودخل العرب وغير العرب في دين الله أفواجا وازددات الحاجة إلى فهمه و تفسيره ومعرفة دلائل الإعجاز فيه، فبدأت بذلك المرحلة التالية وهي مرحلة التدوين ويعد كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدأولكتابيمثل هذه المرحلة، ثم توالت المؤلفات البلاغية لتمثل مؤلفات عبد القاهر الجرجاني مرحلة النضج، لتليها بعد ذلك مرحلة التقعيد التي بدأت بتأليف فخر الدين الرازي لكتاب نهاية الإيجاز في دلائل الإعجاز وهو تلخيص لكتابي عبد القاهر الجرجاني، والذي رتب فيه موضوعات البلاغة و بوّبها وقسّمها، وجاء بعده السكاكي في كتاب مفتاح العلومّ حيث جعل القسم الثالث منه للبلاغة وحصرها في علم المعاني وعلم البيان.

-

4- **الأسلوبية عند الغربيين**: وفي ضوء هذه المعطيات وفي مقابل البلاغة العربية القديمة وتاريخيتها وعراقتها المعرفية أو مايمكن اعتباره أسلوبية القدماءظهرت الأسلوبية الغربية في الضفة الأخرى من العالم مؤسسة مشروعها الحداثي على المدونات العربية "فالواقع اللساني لا ينفك يقر بأن الأسلوبية إنما هي بلورة منهجية لمستويات التعبير البلاغية بعد أن حصر "بالي" خصوصية الأسلوبية في فنية الخطاب"[34] فالبلاغة نظام لغوي يتحقق في النص المكتوب أو المنطوق،تستعمل فيه اللغة استعمالا خاصا في مستوياتها الأربعة: المعجميةوالصوتية والتركيبيةوالدلالية، فتتمايز وتتآلف بحيث يتحول الخطاب فيها من سياقه الإخباري إلىوظيفته التأثيرية الجمالية، فمفاد البلاغة أن يقتدر المتكلم على صناعة الكلام واستخدام المسميات اللغوية في تراكيب تمتلك خاصية التميز عن الكلام العادي،وهو مبدأ تأخذ به اللسانيات الحديثة في تمييزها بين اللغة كصور مجردة تتحقق في الذهن وبين الكلام الذي تخرج به اللغة إلى التحقق الظاهر والاستعمال الفعلي، يضاف إليها لحساب البلاغة قدرة الدال على تشكيل مدلوله من خلال عملية الإتساق وفق مبدأ الاختيار الذي يرتبط بالموقف الكلامي ومناسبة الكلام للحال والمقام، " إن الألفاظ لاتتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة،ولامن حيث هيكل ممفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لاتعلق له بصريح اللفظ، وهنا نلحظ بوضوح تحولا لمنظور اللغوي المحض عند الجاحظ إلى تصور شمولي يتعدى تحديد السمة الفنية بالمفردات إلى السّمة الكليّة في التعبير، عند عبد القاهر، أي أن العناية بالتراكيب ليس تقضية لفظية إنما الغرض بنظم الكلم أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل،فلاحال للفظة مع صاحبتها تعتبر إذا أن تعزلت دلالتها جانباً..."[35].

خاتمة:

إن حجم الدراسات والممارسات النقدية التي أولى أصحابها عناية بالغة بدراسة الأسلوب والأسلوبية واسعة جدا على الصعيد الدرس العربي والغربي، وقد كثرت وتنوعت تعريفات ومفاهيم علم الأسلوب وتقاطعت حسب المناهج المختلفة واللغويين الكبار والفلسفات والعلوم، وبحسب نوع إستجابات المخاطب

والمخاطب والخطاب ويتمحور حول مفهومين أساسيين: أحدهما يرتبط بالصلة المباشرة أو غير المباشرة بالشكل والمضمون خاصة في الخطاب لدى القدماء، والآخر يتعلق ببحث الصلات الرابطة بين التعبيرات الفردية والأخرى الجماعي، ولا يزال البحث في مجال الأسلوبية يتطور لم تكتمل صورته بعد لكونه علما حديثا يعتني بالتأثيرات الجمالية واللغة الإبداعية فهو الوريث الشرعي لعلم البلاغة القديم وعلم اللغة.

وأخيرا أوصي المهتمين بالدرس الأسلوبي ونحن نلج مداخل النقد الجديد بتكثيف البحث في شتى فروعه وانقساماته من أجل بناء رؤية واضحة تنطلق من مكونات وجوانية النص لتعود إليها من أجل استنباط قيمه الظاهرة وأسراره الباطنة مستفدين من آخر ما توصلت إليه النظريات الأدبية الحديثة وما استجد على الساحة الفنية وربطها بعلوم العصر وتداعياته.

الهوامش:

1- أنظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: "البيان والتبيين"،ج1، ط4؛ تحقيق: عبدالسلام هارون، الخانجي، القاهرة، ط5، 1985.ص92.

2- يوسف أبو العدوس: الأسلوبية،الرؤيةوالتطبيق: ص61 ومابعدها.

3- مقال: علا عويضة: ملاحظات بلاغيّة في مؤلّفي بروفسور عمرعتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ومعجم مصطلحات علم البلاغة، نشر بتاريخ29-11-2019 بشبكة الأنترنيت.

4- عمر عبدا لهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصَرة، ص310.

5-أنظر مقال: محمد رضا خضري، الشهيد بشتي طهران: سيكولوجية البخل عندالجاحظ .على شبكةا لانترنيت .

6- مقال جاسم علي جاس من معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، عنوانه: الجاحظ رائد علم اللغة التطبيقي في التراث العربي مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمدخيضر، بسكرة، العدد28،27،

7- عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصَرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012، ص306.

8-أنظر: نصر حامد أبوزيد: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قراءةفي ضوء الأسلوبية، مجلة فصول القاهرية المجلد الخامس عدد (1) ديسمبر 1984م.

10-إبراهيم عبد الجواد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: ص47.

11-يوسف أبو العدوس، الأسلوبية، الرؤية والتطبيق،ص39، وأنظر، أحمددرويش: الأسلوب والأسلوبية،مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه: فصول: المجلد الخامس: العددالأول: 1984م.ص61 .

12-مقال عبد الكريم عبد القادر عقيلان:الأسلوبية: مفهوماً ونظرة تطبيقية المنشور بتاريخ الاثنين، 16 أبريل 2012 على شبكة الانترنيت.

13-إبراهيم عبد الجواد: الاتجاهاتالأسلوبيةفيالنقدالعربيالحديث: ص122.

14-المرجع نفسه،ص123.

15– المرجع نفسه،ص 127.
16-أنظر:عياد، شكري، مدخل إلى علم الأسلوب، دارالعلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1982م،ص43.
17-الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم – بيروت، الطبعة الرابعة، 1998،ص13
18-المرجع نفسه،ص 22.
19-سورة المائدة، الآية 38 .
20-أنظر: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، أبجدالعلوم، ترجمة: صديق حسن خان، دار ابن حزم، الطبعةالأولى 1423 هـ - 2002 م.
21-أنظر:عياد،شكري،مدخل إلى علم الأسلوب،ص43.
22-سيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، تر:فاروق بيضون،كمال دسوقي، راجعه: مارون عيسى الخوري، دارالجيل بيروت،دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط 8، 1993.ص9
23-علي عشري زايد،البلاغة العربية: تاريخها، مصادرها، مناهجها، مصر: مكتبة الشباب 1982 ،صفحة 9،10. بتصرّف
24-المرجع نفسه،ص541.
25-عبد القادر زين: مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية العدد 12، جامعة الجلفة،ص14.
26-سورة يوسف،آية 12.
27-سورة يونس،آية 38.
28-سورة الحاقة،الآية 41.
29- الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985،ج1،ص144.
30-سامي محمد عبابنة، التفكير الأسلوبي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2007،ص33.
31-بيان شاكر جمعه ومهند حمدشبيب (2009)، قراءة في نظرية النظم، الرمادي : مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، صفحة 255، جزء الجزءالأول . بتصرّف.
32-مقال لـ: علا عويضة: ملاحظات بلاغيّة في مؤلَّفي بروفسور عمر عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة ومعجم مصطلحات علم البلاغة، نشر بتاريخ 2019/11/29.
33- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: "البيان والتبيين"،ج1،ط4؛ تحقيق: عبدالسلام هارون،الخانجي،القاهرة: 1975، ص 151 .
34-نفس المرجع، نفس الصفحة.
35-مقال ماهر مهدي هلال، جدلية الأصول والفروع بين بلاغة القدماء وأسلوبية المحدثين البحث عن معنى المعنى، نشر بتاريخ: 2011/10/02.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر: "البيان والتبيين"،ج1،ط4؛ تحقيق: عبدالسلام هارون،الخانجي،القاهرة ، ط5، 1985.م.
- يوسف أبو العدوس: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان ، الأردن، 2007م.
- ابراهيم عبد الجواد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن،د ت ، د ط.

- محمدالهادي الطرابلسي: قضايا الادب العربي،مظاهر التفكير الأسلوبي عند العرب، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية،1987م.
- ميجان الدويلي : دليل الناقد الأدبي، ترجمةوتحقيق: سعد البازعي، المركز الثقافي العربي،ط3.
- سيغريدهونكه: شمسالعربتسطععلىالغرب،تر:فاروقبيضون،كمالدسوقي،راجعه: مارون عيسى الخوري، دارالجيل بيروت،دار الآفاقالجديدة، بيروت،ط 8، 1993.
- صلاحفضل :علم الأسلوب: مبادئه واجراءاته،دارالشروق، مصر،ط1، 1998،ص89.
- عدنان بن رذيل: النص والأسلوبيةبينالنظريةوالتطبيقمنشوراتاتحادالكتابالعرب،ط2000
- عبابنة،سامي. التفكيرالأسلوبي: رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، عمان/إربد- الأردن، 2007م.
- عمر عبد الهادي عتيق: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصَرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 2012م.
- علي عشري زايد، البلاغة العربية: تاريخها، مصادرها، مناهجها،مصر، مكتبة الشباب، 1982.
- عيادشكري. مدخل إلى علم الأسلوب، دارالعلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1982م.
- **المجلات:**
- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية، مجلة فصول القاهرية المجلد الخامس عدد (1) ديسمبر 1984م.
- أحمددرويش: الأسلوب والأسلوبية،مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه: فصول: المجلد الخامس: العدد الأول: 1984م
- **الانترنت:**
- مقال بعنوان: تعريف البلاغة ونشأتها،منشور بتاريخ الإثنين 13 ديسمبر 2010 student.alafdal.net

5. قائمة المراجع:

أ-الكتب باللغة العربيّة:

1-بثينة شعبان، (1999)، 100 عام من الرّواية النّسائيّة العربيّة-1899-1999-، دار الآداب للنّشر والتّوزيع، لبنان.

2-بنمسعود رشيدة، المرأة والكتابة -سؤال الخصوصيّة/بلاغة الاختلاف-، (2002)، أفريقيا الشّرق، المغرب.

3-خالد سعيدة، (1991)، المرأة التّحرر الإبداع-سلسلة نساء مغاربيّات-، نشر الفنك، المغرب.

4-ريّاض القرشي، (2008)، النّسويّة -قراءة في الخلفيّة المعرفيّة لخطاب المرأة في الغرب-، الجمهوريّة اليمنيّة.

5-السيّف خالد بن عبد العزيز، (2004)، إشكاليّة المصطلح النّسوي-دراسة دلاليّة – مصطلح "المساواة".."الحجاب".."التّمكين"..أنموذجا، الدّار العربيّة للطّباعة والنّشر، السعوديّة.
6-عبد العاطي كيوان، (2003)، "أدب الجسد بين الفنّ والإسفاف-دراسة في السرد النّسائي-، مركز الحضارة العربيّة، القاهرة.
7-عبد الوهاب المسيري، (2010)، قضيّة المرأة –بين التّحرير ..والتّمركز حول الأنثى، شركة نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر.
8-العيد يمنى، (2011)، الرواية العربيّة، المتخيّل وبنيته الفنّية، دار الفارابي، لبنان.
9-كرام زهور، (2004) السرد النّسائي العربي-مقاربة في المفهوم والخطاب-، شركة النّشر والتّوزيع المدراس، المغرب.
10-وغليسي يوسف،(2013)، خطاب التأنيث-دراسة الشعر النّسوي الجزائري، جسور للنّشر والتّوزيع، الجزائر.

ب-الكتب المترجمة:

1-موريس بام: الأدب والنّسويّة، (2002)، تر: سهام عبد السلام، مرا وتح: سحر صبحى عبد الحكيم، المجلي الأعلى للثقافة، مصر.

المقالات

2-حفناوي بعلي، (2008)، النّقد النسوي وبلاغة الاختلاف في الثقافة العربيّة، مجلة الحياة الثقافيّة،
ع 195، تونس.